

## أزمة مصر تتجاوز ثنائية انقلاب أم ثورة؟

تواجه مصر أزمة ثلاثية الأبعاد: أزمة حكم وقدرة على الحكم وعقلية حكم، وما الإطاحة بالرئيس محمد مرسي أخيراً إلا مجرد تعبير عن تلك الأزمة. فالسؤال الذي تواجهه البلاد ليس من يحكم أو كيف يصل الحكم إلى السلطة، بل هو بالأحرى كيف يحكم. وتطرح الإطاحة بمرسي وبالإخوان المسلمين، تحدياً على الثنائية التبسيطية لرواية الانقلاب العسكري بمقابل الثورة، كون تلك الإطاحة تحمل عناصر من الاحتمالين معا.

وفي حين أن اعتماد أحد هذين الاحتمالين (انقلاب أو فعل ثوري) تترتب عليه تداعيات متعددة، فإن الاختيار بينهما في هذه الحالة المحددة يعجز عن النقاط تعقيدات الواقع السياسي المصري الراهن. وأما الاستناد إلى المفاهيم والمصطلحات الأساسية للعلوم السياسية بغية توصيف وتعريف أحداث اجتماعية - سياسية مركبة، فهو مقارنة خاطئة تشبه محاولة قياس الضغط الجوي باستخدام مسطرة، ولا يمكن التعامل مع الانتفاضة التي بدأت في مصر عام 2011 كما لو كانت مساراً مستقيماً نحو التحول الديمقراطي، تكمن مشكلته في أنه يغلب الاعتبارات الإجرائية (على سبيل المثال انتخابات منتظمة، حرية وعادلة) على حساب مطالب جوهرية تتعلق بتحقيق العدالة والمساواة والحرية. ولذا، فمحاولة الجزم في ما إذا كان ما حصل هو انقلاب عسكري أو انتفاضة شعبية ينتقص من جوهر ما حدث. وعلى أية حال، فهناك ملامح من كليهما: كان هناك تدخل عسكري بالفعل، لكنه استند إلى احتجاجات شعبية، وليس العكس. وبجميع الأحوال، فإن مثل هذه النقاشات والتصنيفات هي محللة أيضاً، بما أنها تتجاهل السمات الرئيسية للتحدي المصري المستمر: هو أزمة حكم وقدرة على الحكم وعقلية حكم، وليس مجرد صراع بين رئيس منتخب والجيش.

لقد ظلت هذه الأزمة الممتدة ملمحاً رئيسياً في السياسة المصرية منذ كانون الثاني 2011، وهي تستظل على هذه الحال إلى حين التوصل إلى وصفة جديدة لكيفية الحكم، وصفة تتخطى شكل الحكم وطريقة الوصول إليه، سواء بالانتخابات أو بالتعيين، لتتخطى إلى «مكون هذا الحكم»، أي إشراكه للناس في اتخاذ القرار، وأيضاً التعبير عن مصالحها ومحاسبتها من يتم اختياره، وتظهر من جهة ثانية إلى «عقلية الحكم» التي لا تعني عقلية الحكام وإنما آليات النظام في ممارسة السلطة وحدود هذه السلطة.

### دولة متآكلة

يرغب الكثيرون في اعتبار ثورة 25 كانون الثاني 2011 كنهاية لحكم مبارك، إلا أن تلك الثورة تمثل بالأحرى نهاية نظام 1952 السياسي الذي اعتمد على صيغة مرنة من استقطاب ولاء قطاعات من الشعب ومن الإكراه مع بعض التعابير الوطنية القومية. وقد طبقت هذه الصيغة بنجاح منذ عبد الناصر مروراً بالسادات وصولاً إلى مبارك، على الرغم من اختلاف التحالفات والخطبات التي اعتمد عليها حكم كل من الرؤساء الثلاثة. وتمثل الإطاحة بمبارك نهاية قارية هذه الوصفة على الاستمرار، ولكنها فشلت في استبدالها بصيغة أخرى.

كان انخفاض الموارد المالية على مدى العقود التي سبقت سقوط مبارك يعني أن كسب الولا من خلال شبكات زبائنية لم يعد خياراً قابلاً للاستمرار. كما كشف عزج قوى الأمن عن إيقاف احتجاجات كانون الثاني 2011 عن محدودية النزاع الإكراهية للنظام، وعلى امتداد عامين حاولت الحكومات المتعاقبة حكومة المجلس الأعلى للقوات المسلحة بداية، ثم في ظل الرئيس المنتخب مرسي، إعادة إرساء هذا النظام. عبتاً.

غالباً ما يتم إيراد أسباب عدة لتفسير سقوط مرسي، منها إصداره الإعلان الدستوري في تشرين الثاني 2012 الذي كان من شأنه السماح له بأن يحكم من خلال الرأسم غير الخاضعة لأي سلطة أخرى (تشريعية أو قضائية)، ومنها استخدام قوات الأمن في عهده القوة المفرطة ضد



جورج بهجوري - مصر

التظاهرين، فضلاً عن تعيين أعضاء من «الإخوان المسلمين» في مناصب تنفيذية حساسة ورئيسية، وإقصاء جميع القوى السياسية غير الإسلامية... وجميعها تستخدم لتفسير نقطة التحول الهائلة التي حصلت في 30 حزيران 2013. في الواقع، لم تكن تلك الأحداث سوى أعراض لمتلازمة أساسية، حيث تعاطى مرسي وفق نمط الحكم نفسه وعقلية الحكم التي اعتمدها أسلافه، أي من خلال سعي مجموعة مغلقة من المسكين بالسلطة (من الإخوان المسلمين بدل الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم أيام مبارك) إلى شراء ولاء قوى الأمن (الشرطة والجيش) والنخب المالية ورجال الأعمال. بكلام آخر، سعي مرسي خلال العام الذي حكم فيه إلى إعادة إرساء النظام نفسه الذي أدى إلى إسقاط حكم مبارك. افتقد هذا النظام إلى الشفافية وإلى المشاركة الشعبية في صناعة القرار وإلى الحاسبية. ومع نهاية العام الذي حكم خلاله مرسي، أثبتت مصر أنها عصية على الحكم: كانت الأجهزة الأمنية في حالة تمرد، ونخبة رجال الأعمال تتحدى النظام علناً، وصلايين المصريين يتظاهرون في الشوارع. إذاً، ومثلما فعل المجلس الأعلى للقوات المسلحة، فإن «الإخوان المسلمين» في ظل رئاسة مرسي حاولوا إعادة إحياء دولة مبارك (من نواحي أنماط حكمها ومؤسساتها) من دون أن يفهموا أنّ أعدمة تلك الدولة قد تآكلت، وأن ثورة 25 كانون الثاني كانت التعبير عن هذا التآكل، ولم تكن سببها.

وقائع عن يؤس التعليم في مصر: نصان، واحد يحاجج بأن المشكلة ليست في مجانية التعليم بدلالة تجارب أخرى، وثان يتناول الاتجاه إلى خفض الخفض أصلاً، أي ميزانية التعليم.

بعدما ابتلع السودانيون قدرا هائلا من العنف والقمع والإفكار، ها هو رفع الأسعار مجانية التعليم بدلالة تجارب أخرى، وثان يتناول الاتجاه إلى خفض الخفض أصلاً، أي ميزانية التعليم.

«أخبار الرازي»: قصص من مستشفى الأمراض العقلية في تونس، وفي «بالق كلمة» صور من انتفاضة السودان ضد رفع الأسعار. وأما «حلم» اليمن، فالتخلص من توسل السلاح.



### عملية ثورية تتأرجح بين قوى رجعية

يتوارى خلف الصراع العنيف الذي يبدو وكأنه يجري على أساس الهوية بين الإسلاميين والقوى غير الإسلامية، انقسام طبقي عميق للغاية، وأزمة عقلية حكم (بما هي الفن والكفاءة في إدارة الدولة). إن «عقلية الحكم» هي السألة الرئيسية التي تواجهها مصر حالياً، فيما يزيد الأمور تعقيداً أن الرغبة الشعبية في إيجاد شكل ومضمون مختلفين للحكم ليست منتظمة، وتفتقر إلى التعبير عن مطالب محددة، وعلى عكس حال «الإخوان المسلمين» وأركان الدولة من غير الإسلاميين، لا تزال القوة الثورية الشعبية تستند إلى العفوية وتفتقد لقيادة جماعية ولتنظيم قادرين على ترجمة طاقها إلى مشروع سياسي بديل قابل للتنفيذ.

وما حصل في 11 شباط 2011 (الإطاحة بمبارك) أو في الثالث من تموز 2013 (عزل مرسي)، كان محاولة من الجيش للحفاظ على النظام مثلما هو، للحد من المزيد من تأصيل العملية الثورية، والاستباق أي تغيرات في عقلية الحكم. وفي حالتها على تأصيل العملية الثورية، فإن التضحية برأس النظام هدفت إلى ضمان عدم المش بالذلة نفسها، وفي حين أن الدولة، لتأجج أجهزتها وبنائها، كانت (ولا تزال) ضعيفة لدرجة أنه يصعب ترميمها، فإن الهدف الرئيسي لمحاولات المحافظة عليها كان ضمان «عقلية» حكمها، أي العمليات والأنماط التي من خلالها تحكم الدولة. ماذا من جهة.

من جهة ثانية، يتواصل مسار ثوري يحض على التغيير في عقلية الحكم.

### الخلاصة

كان عزل مرسي - الرئيس المنتخب - بعد عام واحد من الحكم، شبيهاً للغاية من نواح عديدة لكيفية عزل مبارك بعد حكم دام ثلاثين عاماً، فهو لم يكن نهاية للتحول الديمقراطي بذاته، على ما قد يدعي كثيرون، ولكنه يشهد على واقع أن الديمقراطية الإجرائية لا يمكنها أن تكون كافية، بكلام آخر، فإن مجرد كون مرسي «أول رئيس مدني مصري منتخب» (وهو الشعار الذي طمأ أحب الرئيس المزعول أن يتفق به) هو حماية غير كافية في وجه الغضب الشعبي في حال فشله في توفير العناصر الرئيسية المكونة لتعريف الحد الأقصى للديموقراطية، أي الحرية والعدالة والكرامة والمساواة. ومصر اليوم واقعة في تناقضين جذريين. على مستوى أول، هناك تناقض بين أسباب وطموحات هذه الثورة (أي تلك القيم) وبين استمرار احتزالها من قبل الطبقات الحاكمة إلى صراع على الهوية وعلى كيفية الوصول للحكم، وعلى مستوى آخر، هناك تناقض بين وجود عملية ثورية تجعل أرضية السلطة (أي سلطة كانت) غير ثابتة، وبين غياب أطر لقوة ثورية قادرة على الاستفادة من هذه العملية ودفعها بالاتجاه الصحيح.

ومع تولي الجيش السلطة، واستغلال الممارسات العنيفة للإخوان المسلمين والغضب الشعبي المتعاظم ضد حكمهم، يمكن لمصر أن تنساق إلى المزيد من قوينة القمع والتطبيع معه تحت مظلة «الحرب على الإرهاب». يضع هذان التناقضان مصر أمام مفترق طرق: للإنزلاق في مسار مجموعات الإسلام الجهادي التي تنتهج العنف، أي أن تصبح هي التعبير عن أمل جيل أجهضت أحلامه في ثورة كاملة، أو استكمال هذه الثورة بالاستناد إلى مفاهيم العدالة والمساواة. والمقصود هناك هو سؤال صناعة العملية السياسية نفسها، فمصر تشهد حالياً محاولات واضحة وعادية، ليس إعادة إرساء الدولة الليبرالية فحسب، بل أيضاً إعادة تطبيق وصفة سياسية تفيد بأن «الرابح يأخذ كامل الحصة». وعلى الرغم من الأهمية الفائقة للانتخابات البرلمانية المقبلة، إلا أن الأمر يستلزم أكثر من مجرد التصويت في صناديق الاقتراع أو تغيير الرؤساء، يحتاج المصريون إلى ابتداء شروط توفير شكل جديد من الديمقراطية التشاركية التداولية. ذلك هو التحدي الأبرز اليوم والأكثر إلحاحاً.

\* صيغة إنكليزية مطولة لهذا النص على موقع «المركز الريويجي لبناء السلام» NOREF

### رباب المهدي

استاذة العلوم السياسية في الجامعة الاميريكية بالقاهرة

## «أعيان الحليب» في المغرب

# رصد لتحولات اجتماعية تجري أمام عيوننا

سعيًا منه للتماهي مع المستهلكين، زعم وزير الفلاحة المغربي أنه «فوجئ بالزيادة في أسعار الحليب» في نهاية آب 2013. من جهته انتقد وزير الحكامة في الحكومة - يوجد شيء كهذا في المغرب - الزيادة، واجتمع مع تجار الحليب الكبار وأحال «القرار الفردي للتجار، على مجلس المتألفة».

انتقدت التنظيمات السياسية والنقابية الزيادات. ولم تنزع الممارسات الشفوية للوزراء في التراجع عنها. وبذلك اعترفت الحكومة أنها آخر من يعلم.

تابعوا، ومغذرة على التكرار:

قال وزير الفلاحة إن 60 في المئة من الزيادة في الحليب ستذهب للفلاحين، بل وزعم أن الزيادة تهدف أساساً لدعم الفلاحين الصغار. وأن ذلك سيكون مع الاول من آب. حتى بداية أيلول لم يزد الفلاحون الصغار في ثمن الحليب ولا علم لهم بها. يبدو أن وزير الحكامة والفلاحة لا يتعارفان، وفي أحسن الأحوال لم يستخبا منذ أشهر. يبدو أن التواصل بين مكونات الحكومة مستقر في الدرجة الصفر، خاصة أن هناك إشاعات تفيد بتبديل وزير

الفلاحة. وقد عبر حزب الاستقلال عن خوفه من «أسلمة الفلاحة» واتهم رئيس الوزراء بأنه يريد تعيين شخص من حزبه في منصب الوزير الذي سيبدل «من أجل أن يضع حزب العدالة والتنمية يده على وزارة الفلاحة، أملا منه في استعمال ورقة العالم القروي في الانتخابات المقبلة».

هكذا تم تهريب النقاش لحسابات سياسية، بينما يشتكون من ارتفاع أسعار الحليب والفلان الذين يدفع الناس الثمن. وقدمت التلفرة الحكومية تحقيقات تستجوب فيها المستهلكين الذين يشتكون من انخفاض أسعار الحليب. هكذا وضع المستهلكون والفلاحون الصغار - أي الخاسرون - وجهاً لوجه وخرجت الحكومة سالمة، وتجار الحليب الكبار غانمين. للإشارة ببيع الفلاح الصغير حليباً كامل الدسم بثلاثة دراهم ويشتريه الناس من البقال بثمانية دراهم (أي بدولار). وبما أن إنتاج الحليب في المغرب تضاعف وانتقل من 1.2 مليار لتر في 2002 إلى 2.6 مليار لتر في 2012، فيربح الوسيط أكثر من الحلاب. وهذا ما دفع بعض الفلاحين المقيمين في ضواحي المدن وقرب الطرق الرئيسية - ويهدف

التخلص من استغلال الوسيط - إلى بيع حليبهم مباشرة للمستهلكين بخمسة دراهم. بدأت حكاية الفلاحين الصغار مع الحليب في بداية ثمانينيات القرن الماضي، شرع حينها في استيراد فضيلة بقر جيد «هولندية» تحلب أكثر من 20 ليترًا يوميًا. أسس الأعيان تعاونيات لجمع الحليب في كل بوادي المغرب الخصبة المجهزة بالطرق والقريبة من المدن الكبرى. قبل ذلك كان الفلاحون يمحضون الحليب لفضله عن الزبدة ثم يمنحون اللبن للكلاب بسخاء، حتى أنها سمحت. وبعد ذلك بدأ الفلاحون يتسابقون لينتجوا أكبر كمية من الحليب يوميًا لبيعه، فاجعت الكلاب وكادت تنقرض في البوادي، فزاد اللصوص. وقد وضعت التعاونيات تسهيلات في دفع ثمن البقرة «هولندية»، المستوردة من عائدات الحليب. وفي 2013 تم استيراد 88 ألف بقرة يفضل تخفيضات ضريبية للمستوردين. حالياً في المغرب 400 ألف مؤسسة استغلالية للحليب توجد في 460 المئمة منها في مناطق مسقية. يوفر قطاع الحليب 460 ألف فرصة شغل. لجمع الحليب في 1070 مركزاً ويحصل الفلاحون على ثمن حليبهم كل خمسة



حمدي مزهودي - تونس

## «الإصلاحات الهيكلية»

لعلهم أصبحوا مؤثي قتييل في السودان، ضحايا قرار الحكومة رفع الدعم عن أسعار الحروقات، تحت مسميات «ضرورة الإصلاح الهيكلي» بسبب عجز الميزانية، وهناك مئات المعتقلين، كما أغلقت الصحف بعد المدارس والجامعات، فالسلطة مصممة على فعلتها. وأما الأحزاب السياسية المعارضة، وأغلبها من غير المؤكد أبداً أنه ضد ذلك «الإصلاح الهيكلي»، فهي تجدها فرصة سانحة للقفز على السلطة... وهو كل ما يهيمها، وإن كانت سنكر ممراسات البشير وطافقه، لأنها لا تمتلك تصورا بديلا للاقتصاد الوطني ولللاقة بين الحكاية العوالة التي تحمل أسماء صندوق النقد والبنك الدوليان. والأول هو المعني «بنصيحة» الحكومات بالكف عن دعم أسعار المواد الأساسية، والتخفف من اعبائها. لتحقيق توازن الميزانيات ورفع معدلات النمو. نمو من؟ سؤال يخرج عن نطاق الحسابات التقفية المجردة ليصبح - أعوذ بالله - سياسة! ولكن ماذا عن التهاب أسعار كل شيء حين يُرفع الدعم عن الحروقات، لأن الاقتصاد حلقات مترابطة؟ اقترح الصندوق توزيع اعانات نقدية شهرية على الأكثر فقراً! وهو ينصح برفع الدعم عن القمح والسكر والزيت أيضاً. لتستقيم الحسابات التي يجريها. وصفة الصندوق هذه سبق وجربت منذ عقدين في أكثر من مكان وانتجت إلى كوارث، فقام بنقد ذاتي وهمد قليلا، ثم عاد مع بعض التجميل... بالكاد.

أحد أسباب فشل مرسي في مصر هو سعيه لتطبيق تلك النصائح، كشرط للحصول على القرض الموعود. ولأنه كان في الوقت نفسه خائفاً من غضب الناس، راح يتحالي إلى حد السخرية. وبالأيسر، أعلنت الحكومة الأردنية عن رفع الدعم عن أسعار الكهرباء، فارتفعت كلفتها بنسبة 15 في المئة، وطال الإجراء عدداً كبيراً من السلع الأخرى. وهو قرار سابق جرت مقاومته وصعب تطبيقه أثناء مدّ الموجة الثورية. وكذلك فعلت حكومة بنكيران في المغرب (في حزيران/يونيو الفائت، فارتفعت أسعار الحروقات بنسبة 20 في المئة، وتبعها سائر السلع)... وفي تونس وحتى في العراق، البلد النقطي الغني، وفي اليمن، حيث يتوفر مثال يوضح الداء والدواء في آن: «الهدر» في قطاع الكهرباء يبلغ 1.5 مليار دولار سنوياً! والهدر هي التسمية المهدبة لزيج من الفساد والنهب وسوء التدبر والإدارة.

### نهلة الشمال

### محمد بنعزي

كاتب وسينمائي من المغرب

# ملف

# وقائع عن بؤس التعليم في مصر

## المجانية ليست المشكلة

قبل مئتي عام، دخل التعليم الابتدائي مصر عقب خروج الحملة الفرنسية وتولي محمد علي حكم البلاد. وهو أصدر قرارا بإنشاء 50 مدرسة، تضم خمسة آلاف تلميذ. وكان ذلك إيذانا ببداية عصر جديد للنهضة التعليمية، ودخول المدرسة النظامية لأول مرة في المنطقة العربية علي غرار المدارس الأوروبية. بل كان يقام حفل سنوي كبير يحضره الوالي الحاكم، لتكريم الخريجين. واستمر الوضع هكذا لأكثر من مئة عام تالية. وكان هذا التعليم للنخبة، بل إن أشهر الكتاب والفكرين كانوا حاصلين علي شهادة الابتدائية فقط، مثل عباس العقاد وغيره. تغير هذا الوضع مع تولي طه حسين وزارة التعليم (عام 1950 في حكومة الوفد)، ففعله متاحا ومجانيا مما أدى الى انتشاره، بل وأصبح الزاميا، ثم توسّع التعليم العام أفقيا وعموديا في عهد عبد الناصر، ما ترتب عليه آثار هامة علي البنية الاجتماعية المصرية لجهة وصوله الى الطبقات الاقفر في المدينة والريف ووجهة شموله الفتيات. كانت هذه مقدمة ضرورية، لأنه يبدو أن هذه الجهود كلها ستذهب أدراج الرياح.

الإرقام

أشار التقرير السنوي لنظمة التنافسية العالمية الذي صدر منذ أيام الي أن مصر أصبحت في المركز العالمي 148... والإخير في ترتيب الدول. حصلت مصر على المركز الأخير العام الماضي أيضا. لم يتنبه أحد لهذا التدهور، ربما لأن التقرير اقتصادي ويتحدث عن الأسواق وقدرة الدول علي المنافسة وجذب الاستثمارات... .

وصل عدد المدارس الابتدائية الحكومية الي 15500 مدرسة، تضم

242 ألف فصل (صف)، ويبلغ عدد الفصول في التعليم الخاص 27 ألف فصل، وتمثل نسبته 15 في المئة من حجم التعليم الحكومي. كما يصل إجمالي عدد طلاب الابتدائي إلى أقل قليلا من 10 مليون تلميذ، أي نسبة أزيد قليلا من 15 في المئة من إجمالي سكان مصر. تبدو هذه الأرقام للوهلة الأولى كبيرة، لكنها إذا وُضعت في السياق الصحيح فسوف تصل بنا الي الاعتراف بصحة تقرير منظمة التنافسية. فواقع الحال في مصر الآن يقول ان المدارس الحكومية أصبحت عنصرا طاردا للطلاب، ليس فقط للقادرين ماديا من أبناء الطبقة المتوسطة، وإنما أيضا من أبناء الطبقات الأدنى والفقيرة. والدليل ليس ارتفاع أعداد طلاب المدارس الخاصة وإنما ارتفاع الطلب علي المدارس الحكومية التي تدرس باللغات الأجنبية – غير اللغة العربية، وهي لغة التدريس الرسمي في المدارس الحكومية – وبعضها مصروفاته لا تتجاوز 100 دولار سنويا. ولذلك أصبح من يلتحق بالمدارس الحكومية العادية هي الفئات الأكثر فقرا، ما أدى إلى ارتفاع نسب التسرب في نهاية التعليم الابتدائي والتي زادت مؤخرا لتصل إلى 12 في المئة من مجمل المتدربين بحسب الإحصائيات الرسمية.

وأشارت دراسة أجرتها وزارة التعليم مؤخرا إلى أن معدل الرسوب في المرحلة الإعدادية – المتوسطة – بلغت نسبته 18 في المئة، بينما هي في الأردن على سبيل المثال 0.5 في المئة فقط! والأكثر خطورة هو تدني مهارات الكتابة والقراءة عند 90 في المئة من تلاميذ الابتدائي، وهي حقائق تم رصدها في دراسة أجراها جهاز التنقيش بوزارة التعليم، ما دعا ووزارة التعليم إلى الاعتراف بالواقع، ولكن المفارقة أن الحكومات المتعاقبة ساهمت في الوصول إلى هذه النتائج، فبدلا من حل الأزمة اتجهت السلطات منذ نهاية عهد السادات إلى فتح «تعليم حكومي بمصروفات». وما زاد الطلب عليه افتتحت



أنديل - مصر

## خفض المخفّض: عن الميزانية

منذ أيام، في 21 أيلول، بدأ عمّ دراسيّ جديد في مصر، ومعه بدأت معاناة ملايين التلاميذ على اختلاف المراحل التعليمية، مع حقبة مدرسية ثقيلة، وفصول (صفوف) مكتظة، ومناهج وطرق تدريس مفرّدة، ومعلم غير مؤهل أو محبط. وكانّ منظومة التعليم في بلدنا صمّمت بعناية لإهدار أهم ثروات المجتمع.

وتمتد هذه المعاناة بالطبع لأسر هؤلاء التلاميذ، لا سيما من الطبقات الفقيرة أو المتوسطة، وهي معاناة لم يقلل منها قرار مجلس الوزراء الأخير بإعفاء طلاب المدارس الحكومية (ذات المصروفات العادية) من دفع المصروفات المدرسية هذا العام. فهم ينفقون أضعاف تلك الرسوم على أمور مثل الزي المدرسي والكراتيس والكتب، هذا بخلاف الدروس الخصوصية التي ينفق عليها المصريون الميلارات سنوياً.

منظومة رباعية

إذا نظرنا إلى خريطة المنظومة التعليمية في مصر فسوف نجدها رباعية تضم تعليماً رسمياً وخاصاً وأزهرياً وأجنبياً، وينقسم بدوره كل قسم في هذه الرباعية إلى أقسام فرعية، ففي التعليم الرسمي على سبيل المثال هناك مدارس عادية ومدارس تجريبية (بمصروفات أعلى)، وفي الجامعات الرسمية هناك كليات وأقسام يدرس طلابها باللغة العربية وأخرى باللغة الأجنبية (بمصروفات أعلى). وتؤدي هذه الرباعية التعليمية وتفرعاتها الداخلية، وما تتضمنه من تباين في لغة التعليم وتكلفته وفي ملكية المؤسسات التعليمية، إلى توهين مقومات الثقافة المشتركة في المجتمع. وفقاً لإحصاءات وزارة التربية والتعليم بلغ إجمالي أعداد التلاميذ في مراحل التعليم قبل الجامعي، عدد التعليم الأزهري (ويشمل قطاع التعليم قبل الجامعي رياض الأطفال، ومدارس التعليم الابتدائي، والإعدادي، والثانوي العام، والثانوي الفني: صناعي وزراعي وتجاري، ومدارس المجتمع والتربية الخاصة) 18.3 مليون تلميذ وذلك خلال عام 2012/2013، يمثل تلاميذ المدارس الحكومية 91 في المئة منهم، وذلك مقارنة بنحو 15.4 مليون تلميذ خلال عام 2006/2007. وبلغت نسبة التلاميذ الذكور 51.3 في المئة مقابل 48.7 في المئة من الإناث، بينما بلغت نسبة التلاميذ في الحضر 50.7 في المئة مقابل 49.3 في المئة في الريف وذلك عام 2012/2013. بينما بلغ إجمالي أعداد المدرسين والإخصاصيين خلال العام نفسه 1.04 مليون (933 ألف مدرس بالإضافة إلى 105 آلاف اختصاصي)، في 41.1 في المئة من الأثاث، بينما بلغت نسبة التلاميذ في الحضر 50.7 في المئة مقابل 49.3 في المئة في الريف وذلك عام 2012/2013. بينما بلغ إجمالي أعداد المدرسين والإخصاصيين خلال العام نفسه 1.04 مليون (933 ألف مدرس بالإضافة إلى 105 آلاف اختصاصي)، في 41.1 في المئة من الأثاث، بينما بلغت نسبة التلاميذ في الحضر 50.7 في المئة مقابل 49.3 في المئة في الريف وذلك عام 2012/2013. بينما بلغ مستوى الجمهورية خلال العام نفسه 47.5 ألف مدرسة في 87 في المئة منها حكومية. وترتفع كثافة الفصول (الصفوف) في المرحلة

30 في المئة نسبة البطالة في أوساط الرجال الفلسطينيين في أراضى الـ48، وحوالي 78 في المئة بصقوف الفلسطينيين، بحسب إحصائيات «مؤسسة التأمين الوطني ودائرة الإحصاء المركزي» الإسرائيلية التي سجلت أن معدل الدخل الشهري للعامل الفلسطيني يصل لنحو 1500 دولار، بينما العامل اليهودي معاشه يفوق الـ2500 دولار.

## مواقع

شريكة / صديقة

«نقد»:

## الظواهر الاجتماعية

## بالعربية والفرنسية



في العام 1991، وُلدت «مجلة الدراسات والنقد الاجتماعي» في الجزائر العاصمة، على يد سعيد شيخي ودحو جربال وغيرهما. مجلة سبب وجودها كان ولا يزال دراسة ونقد الظواهر الاجتماعية بمعناها الواسع، الذي يطال مختلف العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فرضت المجلة حضورها الفكري والسجالي والمعرفي منذ تأسيسها، في زمن كان الورق فيه زينة الإصدارات وأداتها الأقوى، قبل ثورة الانترنت والمجلات الالكترونية والفايسبوك وأخواته. استقطبت «نقد» (هناك أكثر من مجلة عربية تحمل الاسم نفسه) مجموعة من أهم الأسماء عربياً وعالمياً، متنوعي التوجهات الفكرية. أما حاجز اللغة، فحاولت تجاوزه من خلال اعتماد اللغتين العربية والفرنسية، مع إيلاء الترجمة إلى الفرنسية والعربية أهمية كبيرة، من دون أن يحلّ ذلك أزمة هيمنة الفرنكوفونية على الإنتاج الفكري والصحافي لدول المغرب العربي عموماً، وهو ما يظهر بوضوح في أن القسم العربي من أعداد المجلة (التي تتراوح صفحات كل عدد من أعدادها بين 300 و400 صفحة) يبقى أصغر من القسم الفرنسي. وجود مجلات فكرية مثل «نقد» أكثر من ضروري اليوم، نظراً لقيمة المادة المنشورة وإتباعها معايير علمية صارمة، وابتعادها عن الدوغمائية واعتمادها السوسيوولوجيا السياسية كأداة تحليل أساسية بما يجعل التنظير المجزء عن الواقع مستبعداً. من أبرز أعداد «نقد»، العدد 29 (خريف/شتاء، 2011) الذي أحيا من خلاله كتابه الذكرى العشرين لتأسيس مجلتهم، وقد خصص لمناقشة «التحدي الديموقراطي» الناتج من الثورات العربية من جميع النواحي في 350 صفحة من القياس المتوسط. لتكون أعداد «نقد» أشبه بكتاب موزع على فصول من الحجم «المقبول» لناحية سهولة قراءته. ومن الأعداد اللاحقة، ذلك الذي صدر في العام 2010، وجاء بطبعة مزدوجة ضمت العديدين 26 و27 لدراسة واحدة من أهم الإشكاليات والظواهر الاجتماعية العربية والعالمية، وهي الهجرة من دول الجنوب. ومن العناوين الأخرى التي خصصت لها «نقد» أعداداً كاملة، «المسألة الفلسطينية»، وظواهر «الإسلام السياسي» و«المرأة» و«الثقافة والهوية» و«المسألة الوطنية» و«النظام التعليمي» و«التصحيح الهيكلي والنظم السياسية» و«صورة الآخر، سوسيوولوجيا التنوع وعدم تقبل الآخر»...

يقتصر دور الموقع الإلكتروني للمجلة على التعريف بها وعلى حصد الاشتراكات لمصلحتها، من دون عرض مضمونها طبعاً، بما أن «نقد» تعتمد على مبيع نسخها الورقية، وهو ما يشدّد عليه القيمين على الإصدار، في تركيزهم على استقلاليتهم إزاء أي سلطة حكومية، وعلى أن مجلتهم تعتمد بالكامل على بيع متونهم الفكري وبدل الاشتراكات وعلى دعم «المركز الوطني للكتاب» ومؤسسة «فريدريتش إيبرت» الألمانية. وفي هذا السياق، يبدو النداء الموجه إلى القراء عن أهمية دعمهم لـ«نقد»، أشبه بجرس إنذار من خطر توقفها عن الصدور، وهو ما كان مصير الكثير من الإصدارات الورقية سواها.

http://www.revue-naqd.org

## فكرة

## الحوار اليمني.. آمال ومخاطر

«لقد قطعنا أشواطاً كبيرة لا يستهان بها، والشعب اليمني كله يتطلع إلى مخرجات الحوار التي سيتم إنجازها وتمثل مرحلة مهمة بكل الأبعاد والقياس وسينطلق اليمن بعدها نحو أفاق واسعة ومستقبل مضاء».

بهذه العبارة خرج الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي إلى الحاضرين في الاجتماع الاستثنائي لهيئة رئاسة الحوار الوطني الشامل، الذي انعقد منذ أيام، في 30 أيلول/سبتمبر، وعود وتداول وآمال كثيرة، في وقت ما زال المؤتمر يواجه فيه تعديدات عديدة. فعلياً، سُوي كثيرٌ من القضايا بعد ستة أشهر من العمل والاجتماعات. لكن ما تمّ إيجازه يُعدّ الأيسر. فالخصيصة الأساس هي «شكل الدولة اليمنية وقضية انفصال الجنوب».

وخمة لهذا الجانب، يورد الموقع الإلكتروني للهيئة ما اتفق بشأنه، وهو ليس تفصيلياً، ولا هو ناضل، بل يمكن ببساطة اعتباره سابقة في المنطقة: الاعتذار الرسمي عن كل الخروقات والانتهاكات لحقوق المواطنين وهدر كرامتهم، والتعهد بعدم تكرار ذلك، حظر إنشاء أي تنظيمات عسكرية من قبل أي جماعة، استقلالية وسائل الإعلام وكفالة حرية الصحافة بما يخدم المجتمع ويعزز منفاخات الحرية، كفالة حق العامل في الأجر العادل والإجازة والتقاعد والتأمين الاجتماعي والصحي... وهذا ريسمٌ لعواميد أي دولة، للأسس المنطقية المقترض تواجدها في أي كيان ديموقراطي، والاتفاق عليه ثمين.

ولكن العuzلة تكمن في أنّ لب ما هو عالق في النقاشات أساسيّ ومحوري، فما زال الخلاف مستعمرًا حول شكل دولة اليمن: هل تكون دولة اتحادية بين إقليمين شمالي وجنوبي، أم دولة من 5 أقاليم، أم من 21 ولاية...

هناك صعوبة في حسم هذا الموضوع، على الرغم من تفاعل الرئيس، بقيادة «الحركة الانفصالية في جنوب اليمن»، أعلنت رفضها نتائج المؤتمر، وتمتد الدعوة إلى التظاهر في الثاني عشر من الشهر الجاري لإحياء «أكبر مليونية جنوبية»، في الذكرى الخمسين لثورة 14 تشرين الأول /أكتوبر. صحيح أن فضايل أخرى من الجنوب، وازنة، تبدو أكثر استعداداً للتفاوض حول مقترح الفدرالية الذي فرض نفسه كحل، إلا أن الخطر الذي يواجه مؤتمر الحوار من نوعين: أن يُذهب بهذا المقترح إلى ما يغدو تقطيعاً لليمن، وذلك بعدم الإكتفاء بفدرالية من الشطرين الشمالي والجنوبي، أو أن يستعصي الوصول إلى اتفاق حول الفدرالية أصلاً. فتعود للصدود الأصوات التي تنصك بالوحدة الكاملة الناجزة (وهي لا تطبق إلا بالقوة. لو طبقت. لأن هناك توافقاً عاماً في الجنوب على رفضها)، أو تلك التي تقول إن لـ، فائدة، ويجب إقرار الانفصال الكامل الناجز (ما ليس أفكاراً وفتناعات فحسب، بل تقف خلفه مصالح متعددة... يبقى أن الحوار، على صعوبته، بهدف لس توافقات والسعي لتحقيقها في الواقع، هو بديل الحروب، بما فيها تلك الأفظح: الأهلية.

### زينب ترحيني

ما الحل؟

هل إصلاح الخلل في هيكل الأجور هو الحل لوقف التدهور؟ بالطبع، لكن بدون إصلاح بقية المنظومة، من بناء المدارس ومن وضع المناهج ونظم التعلم الألامية، وكذلك من إصلاح العضلة الكبرى المسماة «نظام الإمتحان»، فإنه لن يحدث وقف للتدهور، وإنما سنكون كمن يحرث في البحر. فقضية بناء المدارس من الأولويات، خاصة بعد أن تجاوزت نسبة العجز في المدارس الثلث تقريبا، وهو ما أدى إلى وجود نسبة 25 في المئة من المدارس تعمل فترتين في اليوم الواحد، بل هناك ألف منطقة ليس بها مدارس للتعليم الأساسي من الأصل. وتقدر التكلفة المطلوبة لبناء مدارس جديدة خلال الـ10 سنوات القادمة بحوالي 6 مليار دولار، وذلك للوصول بالكثافة إلى المعدلات العالمية المتعارف عليها، أما قضية المناهج فهي، مثلها مثل قضية الامتحانات، تحتاج إلى تغيير جذري. فنظم الامتحانات في مصر تقليدية تقيس القدرة على الحفظ فقط وإعادة التسميع، ما يساهم بصورة رئيسية في تدني الجودة التعليمية، لأنه لا يؤدي إلى اكتساب الطلاب أي معرفة أو تعلم حقيقي، ولا أي تمكن من المنهجية.

في عام 2003، اشتركت مصر في المسابقة العالمية للعلوم والرياضيات، كمعيار لقياس جودة التعليم في بداية المرحلة المتوسطة (ما بعد الابتدائي) مقارنة بالدول الأخرى، وحصلت علي المركز 36 في الرياضيات والمركز 35 في العلوم، من بين 45 دولة مشاركة. ووصف السوتلون عن التعليم هذا المركز المتدني بأنه كان متوقعا... وبناء عليه لم تساهم مصر في المسابقة مرة أخرى! ولكن تحليل النتائج أوضح وجود تفاوت بين التلاميذ، فالمدارس الخاصة و«الحكومية بمصروفات» حصل طلابها علي درجات أعلى من المتوسط العالمي، بينما حصل تلاميذ المناطق الفقيرة على درجات أقل بكثير من المعدلات العالمية، وهذه النتائج، بالإضافة إلى انتشار الدروس الخصوصية، هي الحجة التي يستخدمها البعض لانقراض على قضية مجانية التعليم، بينما في كل الدول المتقدمة، بما فيها تلك الرأسمالية الكبرى، هناك مجانية بالكامل في كل مراحل التعليم قبل الجامعي، بل تمتد المجانية إلى التعليم الجامعي والدراسات العليا في بلدان مثل ألمانيا وفرنسا، ونسي هؤلاء تجارب دول أخرى مثل ماليزيا، والتي كان الوضع الاقتصادي فيها أسوأ مما هو في مصر، وكانت تعاني من ارتفاع كبير في أعداد التلاميذ بالفصول. إلا أن خطة للإصلاح الشامل للتعليم وضعت بعد تحقيق توافق وطني علي أنه لا نهضة اقتصادية بدون إصلاح التعليم. وتم الاتفاق علي أن تكون أولوية الموازنة العامة للتعليم، وذلك لمدة عشر سنوات متتالية... لتصبح ماليزيا من أقوى عشرين اقتصادا في العالم بينما التعليم مجاني بالكامل ومتاح للجميع. وهكذا فعلت كوريا، وهو ما فعلته الفلبينيين الآن.

<b>إيمان رسلان</b>
<div>صحافية من مصر مختصة بالتعليم</div>

العمل للحصول على الموارد المالية، ويزداد الأمر سوءا في القرى والنحوع في صعيد مصر. كما أن التعليم أصبح لا يحقق المردود المالي والاجتماعي لاسره خاصة بالنسبة للفتيات، مما يؤدي إلى عدم الاهتمام بتعليمهن نتيجة للثقافة السائدة، بأن الفتاة مصيرا المنزل والزواج، ومن ثم لا يوجد جدوى لتعليمها وهداياها للمدرسة. بالإضافة إلى العديد من الأسباب المتعلقة بالبيئة التعليمية وغير الحاجزة للمطرب، ومنها تدنيس التلاميذ في الفصول وسوء معاملتهم من قبل بعض القائمين على التدريس، وعدم جاذبية المناهج الدراسية، وعدم ارتباطها بالواقع الفعلي.

بعض طلاب المرحلة الابتدائية ينجحون رغم عدم معرفتهم القراءة والكتابة، وهو ما اعترف به وزير التربية والتعليم الحالي. ويمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى الغش في الإمتحانات الذي يعتبر متفشيا إلى حد كبير. ويُغفل التقرير الأنشطة الدراسية، رياضية كانت أو فنية أو ثقافية أو ترفيهية، على الرغم من أهميتها في تكوين التلاميذ واكتشاف مواهبهم وتمنيتها. وهي لا تلقي الاهتمام المطلوب في المدارس الحكومية حيث تغيب تماما، أو توجد شكليا من دون أن تستوعب جميع الطلاب.

الخلاصة: تخفيض المخفض

ويؤكد التقرير أنه على الرغم من أن ارتفاع معدل الإنفاق على التعليم كان قاسما مشتركا بين التجارب الدولية التي حققت نجاحا في مجال تطوير التعليم، إلا أن الملاحظ في مصر أن الإعتمادات الخاصة بالتعليم في الموازنة أقل بكثير مما هو مطلوب للوفاء باحتياجات التعليم الحديث، فقد بلغ إجمالي إنفاق الدولة على التعليم (باستثناء التعليم الأزهري) 53.9 مليار جنيه عام 2011/2011، وكان نصيب التعليم قبل الجامعي منها 40.3 مليار جنيه. واللافت أن نسبة الإنفاق العام على التعليم من الناتج المحلي الإجمالي قد انخفضت من نحو 4 في المئة عام 2006/2007 إلى 3.6 في المئة عام 2011/2012، كما انخفضت حصة نسبة الإنفاق على التعليم الجامعي إلى 0.9 في المئة (كانت 1.2 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي عام 2006/2007)، وتشير هذه النسب المنخفضة لجهة ضآلتها إلى الحاجة الملحة لإعادة النظر في السياسات المالية من أجل زيادة الإنفاق على التعليم، مع ضرورة وجود استراتيجية سياسية موحدة للتعليم لا تتغير بتغير الحكومات أو الوزراء.

<b>منى علام</b>
<div>كاتبة وصحافية من مصر</div>

400 عضو في «شبكة الصحفيين السودانيين» يخوضون إضراباً عن العمل في

مؤسساتهم منذ يوم الأحد الماضي (29 أيلول /سبتمبر الماضي) بسبب المحاولات الرسمية لفرض رقابة على تغطية الاحتجاجات الشعبية، وذلك غداة منع صدور صحيفة «الإنباهة»، الأكبر في البلاد، وإغلاق مكتبيّ قناتيّ «العربية» و«سكاي نيوز» في الخرطوم.

# السودان: أبناء الشمس

الظاهرة اللافتة للانتباه في مظاهرات السودان التي اندلعت في الأسبوع الماضي، هي قيام الشباب . حصرياً . ممن هم دون الخامسة والعشرين بها . ويتأكد ذلك من سجل الوفيات والإصابات. وهذا يعني أن أعمار هؤلاء تطابق عمر النظام المولود في العام 1989، وأنهم لم يعرفوا أو يعيشوا في ظل حكم غير ذلك الحالي. فكيف عجز النظام، رغم الجهود الهائلة التي بذلها، عن جعلهم جزءاً أصيلاً منه، بينما هو تحصن بما أسماه المشروع الحضاري الذي يهدف إلى «إعادة صياغة الإنسان السوداني»، وكان استهداف الشباب من أولويات الاستراتيجية التي شرع في تنفيذها. فقد بدأ بتغيير جذري لمناهج التعليم في كل المراحل، تحت شعار «الأسلمة والتأصيل». وبدأ التأصيل عملية فكرية أظهرت لاتاريخانية العقل الذي يقف خلفها، كما ساهمت في اغتراب غير مقصود. فقد جاءت المقررات المدرسية خالية من الموضوعات الخاصة بالسودان لتحل محلها موضوعات إسلامية كبرى. وعوضا عن جغرافية السودان وتاريخه، يدرس الطالب مقرراً يسمى «الإنسان والكون»، وتعتمد هذا النظام التعليمي إضعاف الحس القومي الضيق – بحسب تقديرهم – وتقديم الشعور الأممي الديني العابر للحدود. وهكذا، ساهم هذا التوجه، بوعي او من دونه، في تآكل الهوية السودانية لدى الشباب.

من ناحية أخرى، اهتمت الدولة باحتكار وتوجيه الثقافة والإعلام، كوسائل فعالة في تزييف الوعي. وابتعد النظام عن أي ثقافة جادة يمكن لها على المدى الطويل أن تنتج عقلا نقديا يعمل على التغيير. فقد وضعت رقابة مشددة على طباعة الكتب، وعلى ادخالها، وعلى المعارض. وقد أعطيت إدارة المصنفات الفنية سلطات واسعة في رقابة الطبوعات والمحتوات السعمية والبصرية. وعمل النظام على وضع الشباب في خيار ثقافي صعب، بين ثقافة التعصب والنجيبيات أو الانحلال والهيبوط. فالتلفزيون مثلا، يبث بكثافة الدائغ والفتاوى والاحاديث الدينية السلفية، ويعدھا تركّز السهرات على الأغاني والمسلسلات غير الجادة. وهذا ما يربك الشباب ويجعله يحاول التوفيق بلا جدوى في المعادلة الصعبة التي يدعومها التراث والممارسة أو الأصل والعصر، فيعيشون حالة انقسام ثقافي ونفسي حادة، ولم يتنجح النظام في تحويلهم إلى شباب متدين، بل حدث العكس تماما، لأن الشباب

خلق أيقوناته من فنانيين في مثل عمره، كالغني الشاب محمود عبد العزيز الذي توفي بسبب المرض مطلع هذه العام وتحول استقبال جماّنه في مطار الخرطوم الى تظاهرة كبيرة.

**عصابات النقرز**

قامت خطة النظام على الإيمان في تمهيش الشباب سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا. وهو عمل على تكوين نخبة شبابية موالية تتسانده بشكل مطلق وتكون بديلة عن المنظمات الشبابية الجماهيرية. وفي الاتحادات الطلابية، تم افساد

مبكر نتجت عنه قيادات طلابية يشاهدون باليد الكاملة ويتنقلون بالعربات الفارهة وهم ما زالوا طلابا، وقد سمح لهم بالدخول في عطاءات شراء الكتب والادوات المكتبية. واخيرا يأتي التمهيش في عملية التوظيف المنحازة لأهل الولاء . والنتيجة عطالة أو تعطيل أعداد هائلة من الشباب، ورمي بهم الى حالة من الفاقة واليأس والاكتئاب. فكان من الحتم أن تقوهم هذه الاوضاع الى آتون الأمراض الاجتماعية

من إدمان للمخدرات، والدعارة، والجريمة المنظمة (وقد اشتهرت من بينها ما يطلق عليه اسم

«عصابات النقرز» التي تمتلك سمات الظاهرة الاجتماعية بكل معنى الكلمة). حيال ذلك، اختارت السلطة العنف وراحت تنتج قوانين قمعية مثل «قانون النظام العام» الذي أصبح بموجبه الشباب عرضة للملاحقة والجلد في الأماكن العامة إمعانا في الإهانة والإذلال. ولأن الأحزاب السياسية شاخت ولم تعد قادرة على التجديد الذاتي ولا على إعلان الوفاة، تمكن النظام من الاستمرار. وقد سرّعت ممارساته في تقديم الشباب بمبادرات تكافح الاستنقع السياسي الذي تعيشه البلاد. بدأت مجموعات الشباب في الانشقاق من أحزابها أو قيادة انقسامات

مبكر نتجت عنه قيادات طلابية يشاهدون باليد الكاملة ويتنقلون بالعربات الفارهة وهم ما زالوا طلابا، وقد سمح لهم بالدخول في عطاءات شراء الكتب والادوات المكتبية. واخيرا يأتي التمهيش في عملية التوظيف المنحازة لأهل الولاء . والنتيجة عطالة أو تعطيل أعداد هائلة من الشباب، ورمي بهم الى حالة من الفاقة واليأس والاكتئاب. فكان من الحتم أن تقوهم هذه الاوضاع الى آتون الأمراض الاجتماعية

من إدمان للمخدرات، والدعارة، والجريمة المنظمة (وقد اشتهرت من بينها ما يطلق عليه اسم

الأردن غير أن الآثار الاقتصادية للحرب طالت البلاد وضاق بها العباد بعد أن شححت السلع والأموال في آن واحد.

منتصف ذلك العام، وصلت أسواق عمّان اول شحنات البالة، ودهش الناس وتساءلوا، وهم الذين اعتادوا عدم التحلي عن ملابسهم إلا في حال تلفها المطلق. عن السر الذي يجعل تلك الملابس شبة الجديدة تباع بأسعار بخسة. أسنوا بداية الأمر بالرأوية التي تحدثت عن أنها ملابس الوتي، أو الجنود في الحرب، أو ثيابات المستشفيات، فحافوا وأحجموا عنها، وهي الرواية التي أسقطتها الحاجة والفقر فعادوا الى شرائها، رغم أنهم حملوها مسؤولية الأمراض التي كانت تنتشر بينهم في ذلك الزمان.

وبعد أن كان استيراد البالة مغمارة يقبل عليها القليل من التجار، استعمر التنافس على استيرادها بينهم لجنهم ارباحاً طائلة من تجارتها.

ساهمت البالة في تغيير ذائقة الأردنيين، وأنماط لبسهم.

اتفق من دون عناية أو ترتيب، وكان يكفي لشراء القطة أن يكون قياسها متناسبا وخالية من العيوب الظاهرة للعيان، أما السعر فلم يكن محل تفاوض، فهو غالبا ضمن الموازنة.

تغيرت الحال اليوم. تعددت مسميات البالة وأصبح يطلق عليها «الأيسة الأوروبية»، حيناً والتصفية، أحيانا، حتى لا تخدش مشاعر الأغنياء بعد أن انتشرت أسواق بيعها في مناطقهم. ولأن للأغنياء ملقوسا، أصبحت البالة تعرض في منتهي الترتيب وتخضع قبل ذلك للغسيل والكي، وبدأت تعرف التفاوض على الأسعار بعد أن أصبح الباعة لا يترددون في طلب اسعار مرتفعة، إذ برعوا في معرفة ماركات الملابس وأسعارها في محال الجديد.

**في الزمن الماضي**

عرف الأردنيون البالة منتصف العام 1942. كانت الحرب العالمية الثانية على أشدها. كانت نيران المدافع بعيدة عن

# الملابس المستعملة للفقراء أم للأغنياء؟

## قصتها في الأردن

وحدها البالة (الملابس القديمة) استقامت، ولو شكلاً، قهر التباين الطبقي في الأردن. في الأسواق المتخصصة لبيعها، التي تتوسع رقعة انتشارها يوميا، يتزاحم الفقراء والأغنياء على السلعة المروضة ذاتها، رغم اختلاف الاهداف والدوافع.

وقبما بقيت البالة، بالنسبة للفقراء، ملاذاً ينجيهم من غلاء الألبسة الجديدة، يلجأون اليها بحثاً عن ثياب رخيصة الثمن تستر اجسادهم من دون أن تتسبب في تعرية جيوبهم، أصبحت للأغنياء مقصدأ يبحثون فيه عن الماركات العالية، التي تضاعفت اسعار الجديد منها حتى أصبح يشكل شراؤها عبئاً لا يتمكن من مواجهته الا القليلون.

لم يكن الحال كذلك دوماً. في سنوات ماضية، كانت البالة حكراً على الفقراء، وانحسر انتشار أسواق بيعها في مناطقهم، وغالباً ما كانت البضاعة تعرض في المحال كيفما

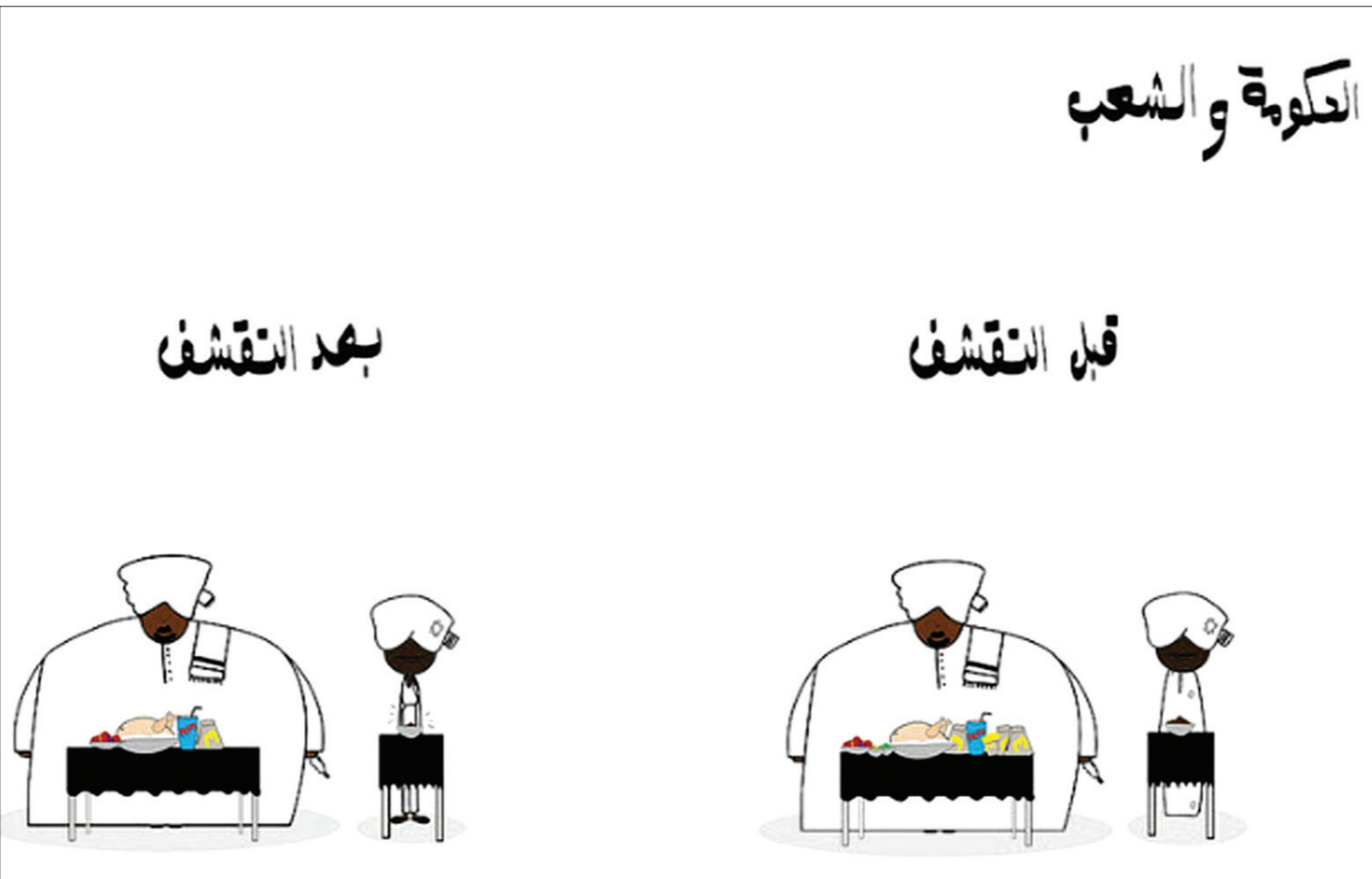
## في موريتانيا إسمها «فك جي»

تشهد موريتانيا ظاهرة استعمال الملابس المستعملة بشكل لافت خلال الأشهر القليلة الماضية، ويقبل الموريتانيون على هذه الملابس التي يتسيع استعمالها في مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية، وفي مختلف المواسم والفصول، رغم أن التصيب الأوفر من هذا الإقبال هو لكسوة الأطفال، إبتارا لهم.

**تعددت الأسباب ...**

للمعامل الاقتصادي دوره في الظاهرة، فموريتانيا من الدول التي يعيش نصف سكانها تحت خط الفقر. ولا يخلو اسم الألبسة المستعملة من طراقة. فالموريتانيون يطلقون على تلك الملابس اسم «فك جاي» وتعني بلهجة إحدى الأقليات الأفريقية «انفض وبع»، و هو ما يعبر عن كيفية التعامل مع هذه البضاعة الرخيصة، حيث يتم عرض اكوام الملابس كما تأتي من الخارج من دون تنظيم ولا كي، ليقف البائع قريباً مراقباً الزبائن وهم يحفرون فيها ويقلبونها بحثاً عما يناسبهم. ومنذ سنوات قليلة، كان اقتناء الملابس المستعملة معزة يتخرج منها الكثير من الموريتانيين ولا يتحمل أغلبهم ان يراه الناس يتبضع في تلك المحلات. أما اليوم، فلم تعد هذه الملابس قبلة الفقراء وحدهم، بل اكتسبت أهمية، حتى استحدثت أسواق خاصة بها.

في حي البصرة بناوكشوط، وهو أحد الأحياء الفقيرة، يقع أكبر سوق للملابس المستعملة، مساحته أربعة كيلومترات مربعة، ويعرف اكتظاظاً لا يتوقف حتى غروب الشمس، حيث تفرض الشرطة وقف عمليات البيع لاعتبارات أمنية. وعلى جنبات شارع جمال عبد الناصر في قلب العاصمة الموريتانية، حيث يقع السوق المركزي للعاصمة، تنتشر اكوام الملابس المستعملة التي تباع حسب الوزن، ويصل سعر الكيلوغرام الواحد من هذه الملابس في بعض الأحيان الى ما يعادل خمسة دولارات. وهناك تجتهد الطيبية النسائية فاطمة بنت عبد القادر في البحث عن ملابس تصفها باللافتة، وتقول إن الحر من التسوق هنا قد زال، وتضيف: لقد تجاوز الموريتانيون تلك العقدة، وأصبحوا يتصرفون وفق واقعهم.



خالد البيه- السودان

داخلية. ثم ظهرت كيانات شبابية صرفة مثل «شباب التغيير» أو « قرفنا»، أو تنسيقيات الشباب في السداخل والخارج، وبدأ كأن هناك صراع أجيال مفتعلا أو قتلا لأب، لأن قضايا الخلاف لم تكن دقيقة وواضحة المعالم، خاصة وأن الجميع متفق على اسقاط النظام الحالي وقيام نظام تعددي.

**اشباح لبشر**

**في أعمار نضرة**

أصبح خلاص الشباب السوداني خارج حدود الوطن بعد أن أصبح مفهوم «الوطن» نفسه غائما وغامضا. وغالبية الشباب يشكون ويسخرون حين تجادل معهم حول الوطن وواجباته. وصارت الهجرة الأمل الوحيد، يعمل الفرد من أجلها مهما كان الخمن. وصر المرء يرى في شوارع السودان أشباح لبشر في أعمار نضرة ضاقت أمامهم فسحة المستقبل. وتدننت نوعية الحياة، بل اختزلت الوجيبات الثلاث إلى واحدة، ولم يعد هناك حزام يمكن شده. لذلك عنت سياسة رفع الدعم عن سلع أساسية أن «من لم يمت بالسيف مات بغيره». المظاهرات التي اندلعت في 23 أيلول /سبتمبر هي تعبير عن اليقم السياسي للشباب السوداني. فحتى اللحظة، لم يحدد («تجمع الأحزاب» موقفه، وخاصة الحزبين التقليديين الكبيرين. نزل الشباب إلى الشوارع في عفوية يحركها الحس السليم فقط، ولم تمنعهم النداءات المطالبة بالسمية ولا ترى عيبا في العنف المضاد. ومن الواضح أن النظام قرر استخدام العنف المفرط بدقة تحقق هدف بث الرعب وإرهاب الجماهير. فأعداد القتلى وكثافة استخدام الرصاص الحي، تؤكد أن النظام يخشى عواقب أي تساهل.

هذه انتفاضة شبابية، وهي نتاج أزمة اقتصادية - اجتماعية وثقافية بين الشباب، وهؤلاء غير مسيسين. ولذلك تحتاج الانتفاضة الجارية لدفعة سياسية مبتكرة وذات خيال مبدع. وفي كل الأحوال فنحن أمام حركة اجتماعية هي وليدة أشكال متعددة من التمهيش التي انتهت بانفصال الجنوب وقهر النساء والفخر بجلدهن علنا.

**حيدر إبراهيم**

باحث من السودان، مدير «مركز الدراسات السودانية» الذي اغلقته السلطات العام الفانت

من ضمن ما علقت من مراكز وصحف ومكتبات.

بينها وبين الملابس الجديدة. الفجوة قلت بعد أن دخل الأغنياء آخر معازل الفقراء وتحولت البالة إلى هدف للباحثين عن الماركات، ما فتح اعين الباعة على أفق جديد يبررون به رفع الأسعار. كما لم تسلم البالة من الضرائب الحكومية على استيرادها، التي تنعكس على أثمان القطع.

واليوم يوجد أسواق للبالة محزّم على الفقراء دخولها، حيث تباع الملابس فيها بأسعار تفوق اسعار ملابس جديدة تُصنع محلياً.

قهرت البالة في عنوانها الفضاض التباين الطبقي، لكنها في التفاصيل عزّزته. فلفقراء بالتمم وللأغنياء بالتمم، فيما يواصلون الالتقاء ليوم واحد في عطلة نهاية الأسبوع في الأسواق المخصصة لبيع البالة، ولكل منهم بضاعته.

**محمد الفضيلات**

صحافي من الأردن

## سبع قواعد ذهبية تجعل منك محاربا ذهبياً

1- أعداوك كلهم أوغاد، وإذا ظهر منهم من هو ليس وغداً، فهذا دليل على أنهم - بالإضافة لكونهم أوغادا - غير منطقيين ومتناقضون أصلاً مع أنفسهم.

2- إذا كان هناك فرق بين أعدائك، فعدوك المتطرف أقرب إليك من عدوك المعتدل. لا شيء أسوأ من عدوك المعتدل. فهو يفسد الأمر كله.

3- حربنا هدفها الوصول لسلام العالم، هذه قاعدة أولى.

عليك نسيان تماما أن حربنا هدفها الوصول لسلام العالم، هذه قاعدة ثانية.

4- إذا انتصرت فأنت تنتصر لأنك على حق، والحق دائما ما ينتصر في النهاية، هذا قانون بشري. وإذا انهزمت فأنت تنهزم لأنك على الحق، ولأن الحق أضعف من الباطل. وهذا قانون بشري آخر.

5- لا داع للتفكير في حبيبتك، الحب كليشييه سخيف، ولكن إذا ما عجزت عن التحكم في نفسك ففكر فقط في أنك إذا ما انهزمت سوف يأتي عدوك ليغتصب حبيبتك. عدوك الذي يغتصب حبيبتك ليس كليشيهاً سخيفاً.

6- نحن لم نبداً الحرب. نحن اضطررنا إليها. وإن شاء الله في المرات القادمة سوف نضطر إليها مجدداً.

7- على عكس الشائخ، البلاغة هي صديقة الحروب، بالبلاغة يمكنك أن تصوغ أي موقف وتجعله يبدو أعقد وأجمل مما هو عليه، بدون أن تحتاج للتبرير ولا لأن تبدو معقولاً. المعادلة بسيطة. البلاغة أكثر إثارة من المنطق، الحرب أكثر إثارة من السلام.



## طول عمري غريب

«أنا غريب. غريب. وطول عمري نعيش غريب». هذه الجملة التي خطها مجهول، بأحرف ضخمة، على جدار قسم العيادات الخارجية، ظلت محفورة هناك لأربعة أشهر متواصلة، قبل أن يقوموا بإعادة طلاء الجدار هذا الصباح.

\*\*\*

قيل قليل لحت محمد علي في موقف القسم. كان واجما، يستند إلى مقدمة سيارة، يُحدق في الاشياء، وفوق رأسه تحوم كوكبية من البعوض. ما إن رأيته حتى هرع إلى وسألني سؤالاً غريباً:

«هل يُعدي الجنون يا دكتور؟»

كوكبية البعوض لحقت به ولبنت تحوم حول رأسه في طواف بعوض.

كنت سأقول له:

في حالات قليلة جداً، ثم امتنعت، وقلت له بأن الجنون لا يُعدي، إلا أنه باغتنى بسؤال آخر:

«هل تعلم أن المجانين يدخلون الجنة مباشرة، ولا يُحاسبون؟»

يُقال إنهم مرفوعوا القلم»، أردفت على كلامه مُبتسماً.

هذا ما قاله الإمام بالأمس في الجامع يا دكتور.

خسارة، وددت لو كان الجنون مُعدياً لأعدي من أحب وأدخله الجنة».

لم أتمالك نفسي وقلت له:

«تلك لا تهدي من أحببت ولكن الله يعدي من يشاء».

أشياء وجه محمد بتلك الابتسامة الفضائية الفريدة، ثم قال لي وأنا أهم بالانصراف:

«أخشى ألا يدخل الجنة غير المجانين يا دكتور».

«أخشى أن تكون في الجنة في هذه الحالة ونحن لا ندري»، قلت وانفجرت ضاحكاً. إلا أن محمد علي لاحقني بالكلام وأنا أعاذ الموقف:

«دكتور، دكتور، أنا منحبش تكون مجنون. قلتو يا ربي أعطيني المال والفكر، والجنة نجيبها بذراعي».

عند ذلك انشغعت عن رأسه كوكبية البعوض، وافترقتا.

\*\*\*

رجعت للكتابة بعد يومين. هذا الصباح لم يكن في الأجنحة غير موعدين. جلبت قهوة من الكافيتريا

وعدت للمكتب لأطالع ما كتبت منذ أيام، ثم أغلقت الدفتر وبقيت أفكر في أمر الفتاة التي عايدتها قبل قليل.

اسمها نرجس أو نسرين، لا يهم، المهم أنها حاولت الانتحار بابتلاع علبه أقراص منع الحمل التي

لوالدها. لم يحصل لها شيء بالطبع، رغم أن والدها سارع بها إلى قسم الطوارئ. هناك، قاموا بتوجيهها إلى الرازي. والدها يعمل في حفاظات البناء، يسكن حياً شعبياً ويُعيل عائلته من زوجة وثلاث بنات. بعد إجراء اختبار ذكاء، أشارت النتائج إلى أن نرجس تعاني من تأخر ذهني طفيف. لكنني القيت ورقة الاختبار في القمامة وقلت للأب، الذي جاء خصيصاً ليتأكد من ذلك، بأن نسبة ذكاء ابنته عادية تماماً. بل ويُمكن أن تكون متفوقة في بعض المجالات. الأب لم يفتتح بكلامي رغم أنني شرحت له أن الذكاء مُتعدد الأشكال والمجالات. وبالنسبة له، ابنته معتوهة وسيجد صعوبة في تزويجها، ذلك كل ما كان يشغله. أما نرجس فكان لها طموح وحيد: «أن تعوم مع الدلفين». منذ أن شاهدت وشائقيا يعرض فتاة تقوم باستعراض في مسبح مع مجموعة من الدلافين، صار ذلك كل ما حاسمها. نرجس غادرت المدرسة في آخر مرحلة من التعليم الابتدائي، ولم تنه تكوينها للحصول على شهادة خياطة بالمركز المهني الذي أحقها به والدها. لكن نرجس، ومنذ أن شاهدت الفتاة التي تركب ظهر الدلافين الاستعراضية، صار كل همها «أن تعوم مع الدلفين». وكلما كزرت ذلك، كان الأب يلين الدلافين ويكاد يبتلع شعره أسفاً وخذلاًنا. «من سيترجوها يا دكتور؟ من سيترجوج حمقاء مثلها؟». ربما كان على حق! لكنني متأكد أنه سيجد لها زوجاً. نرجس فتاة جميلة بينية جسدية رشيقة. إنها عروس بحر. أنا متأكد أنه سيغير لها على دلفين، أو فرس نهر، أو حتى جحش مائي يدفننها في البيت ويولدها أبناء كثر. لما غادرت المكتب مع والدها كنت أعرف أنها لن ترجع أبداً. والدها جاء بها لأمر واحد، كان يعتقد أننا سنقوم بتعديل دماغها أو نجرّب معها شيئاً ما يُنسبها حكاية الدلافين. ما زلت أذكر ابتسامتها الرائعة وهي تُطيق الباب، ابتسامة حورية. لكن نرجس، وللأسف، كانت حورية في صحراء!

\*\*\*

كوب القهوة انسكب بالكامل وأنا لم أفعل شيئاً لأوقف انتشار البقعة السوداء على سطح المكتب.

أحسست كأن أحداً يُفطر حيراً في بؤبؤ عيني. بقيت أتابع انتشار السائل الثقيل، القاتم، يسري ببطء، كاغمامة، كظلام، كستارة تعصب على بصري. ذهلت.

غرقت في شويدها القهوة. كان الكوب الثالث أو الرابع هذا الصباح. لكن سطلاً اضافياً ما كان ليحرك رمشة من عيني. لبثت في تلك الحالة من «الكتاتونيا» جالسا وراء المكتب، إلى حين انتهى وقت العمل. راحت القهوة

تنجلي عن بصري شيئاً فشيئاً، إلى أن رجعت تماماً، ورجع المكتب، والناقذة التي من ورائها السماء اللامتناهية. كل شيء كان واضحاً أكثر من اللزوم. كل شيء كان صافياً حتى التلاشي، ومالوفاً، والسماء تصرخ بالزرقعة المُفرعة. امتصنتي فراغ الناقذة. لبثت لبعض الوقت أحقد عبره في شروود. بغتة، وعند الركن الأيسر، ظهر شاب يرتكض نصف عار نحو بوابة المستشفى، يجذ في أثره نصف حراس الرازي، قبل أن يختفوا جميعاً عند الركن الأيمن. المشهد مرّ على شاشة الناقذة في صمت، كأنه فيلم قديم بالأبيض والأسود. قبل أن يعود نصف الحراس للظهور، يدفون الشاب الهارب أمامهم، يلطمونه على رأسه وظهره، ويديه موثقتين إلى الوراء، عند تلك اللحظة قمت وأخذت محفظتي وغادرت المكتب.

كان يوماً عادياً من أيام الرازي العادية.

\*\*\*

لا حاجة لوضع تواريخ على هذه الشذرات. إنني لا ألتفت، ضاً أخطه هنا، في هذا الوقت المسترق، أن يصير كتاباً. فليكن شيئاً منهوشاً. مرقاً مُكدساً بلا ترتيب، هناك الكثير من الأشياء الأخرى التي شهدتها في الرازي، والتي لا تقل أهمية عما قصصته إلى حد الآن، لكنني لم أدونها. إما لأنني نسيتها، وإما لأنني لم أجد القوة والوقت لفعل ذلك. هناك مثلاً قصص طويلة تقتضي نفساً دوستويفسكياً لحكايتها. ولكن لا هذا زمان دوستويفسكي ولا أنا هو. في هذا العصر، وحدهم المجانين يقدرّون على إنهاء رواية لدوستويفسكي دون أن ينحروا أو يخرجوا للشارع لندبح أول من يقول لهم مساء الخير. لكن الرهان يبقى في كتابة نص دوستويفسكي في أقل من صفحة أو صفحتين. هذا هو التحدي الذي سيفعله «المقامر»، ما قدر له أن يُؤلد في هذا العصر. كل ما يُمكن أن أقوله عن هذه الشذرات، هو أنني بدأت كتابتها في فصل الشتاء، وهذا يعني الكثير بالنسبة لي.

\*\*\*

أعتقد أن الشيء الوحيد الذي نجحت فيه، أو لنقل نجحت في الحفاظ عليه بعد أكثر من أربع سنوات من العمل في مستشفى الرازي، هو بالتأكيد، قدرتي على الاندهاش.

## أيمن الدبوسي

كاتب وأخصائي في علم النفس، من تونس

## حلم ..

مراد سباعي / اليمن



arabi.assafir.com

- إذاعات الإنترنت في مصر - هدير الهدوي  
يستقبل الموقع مساهماتكم وتعليقاتكم واقتراحاتكم.  
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi  
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

## انتفاضة السودان



(أ.ب)



(أ.ب - خليل حمرا)

من تظاهرات الخرطوم

## مدونات

## خطة الشيطان الجهنمية لزيادة الأسعار

«لا يخفى أن الحكومة تواجه أزمة اقتصادية حادة، وعلى الرغم من ذلك، يصعب على المواطن البسيط الذي اعتاد على مسيطرة قرارات الحكومة الخائفة استيعاب أبعاد الموضوع، فالواطن يجد نفسه مضطراً إلى الخنوع أمام قبضة الأمن وتخطيط شيطاني لإدارة الأزمة والانفصالات المصاحبة لها، فإذا ما راجعنا حيثيات آلية تطبيق هذا القرار فسوف نجد أن هناك نهجا مخططاً، غير واضح للعيان، يتلخص في التالي:

- نبداً من حيث انتهى الآخرون والبداية كانت قبل ستة أشهر عندما تفررت زيادة في أسعار المواد تمهيداً لرفع الدعم، وعلى الرغم من ذلك لم تحاول الدولة تخفيض ميزانيتها على الإطلاق بل سعت إلى تطوير المعارضة بشتى الوسائل وشراء سكوتها أو على أقل تقدير أن يكون اللعب على طريقتها وفي المقابل تدفع للاعب الماهر ما يريد (...)

- منعت دخول السيارات القديمة إلى السودان واكتفت بضرورة أن تكون السيارة موديل السنة وهو ما سبب ارتفاعاً في أسعار السيارات، وبالتالي لم يعد بإمكان إلا فئة معينة اقتناء السيارات. أيضاً تضرر المواطن البسيط بسبب ارتفاع تكلفة قطع الغيار ما أدى إلى إيقاف مجمل سيارات المواصلات، وذلك لعدم القدرة على صيانتها وهذا خلق أزمة مواصلات مستمرة يضطر على إثرها أن يقف المواطن لساعات طويلة في الشارع...»

من مدونة «سودانية فائرة» (25 أيلول / سبتمبر 2013)  
http://sudaneseinflated.blogspot.com/

## تباً لنا.. عجزنا حتى عن مجرد الولولة!

«ما هو الفرق بين سكوتنا حتى عن مجرد الولولة عن جرائم القذافي الجبار، وبين سكوتنا الآن عن جرائم من هم أضعف بكثير من القذافي؟»

الفرق بين واضح، وهو أن القذافي اقترف جرائمه وهو محتّم بالدور السياسي والأمني الذي صنعه لهذا الغرض. وكان مبررنا ونحن لا نبدى حتى مجرد الولولة على قتلنا آنذاك، هو بطش القذافي ومكره؛ أي مرور لنا الآن، ونحن أمام مجرمين وقتلة أصغر وأقل مكر من القذافي ألف مرة؟! أقول هذا لأنني لم أعد أصدق أن من يقترف الخطف والقتل الآن هم مجرمون محترفون ومساجين جثائون سابقون. كما لم أصدق أن الصبيان القذلة الذين يضربون ويهرون هم من ذوي الأجدات السياسية المضادة.

كفانا تغلطة لعين الشمس المتوجهة بغربالنا البالي المتعري!

الذي يقوم بجرائم السرقة بالإكراه والاعتصاب والقتل هم «منا فينا»!

أجل إن من يفعلون ذلك هم بعض أبنائنا الذين نكلمهم ويكلموننا، ويأكلون ويشربون معنا، ثم يعييون عنا لبعض الوقت، فيختلطون بأخرين، ربما كانوا أبناء جيراننا ومعرفنا، وهناك يتكلمون بغير الأجدية التي نعرفها، وربما يتناولون طعاماً وشرباً غير ما عودناهم عليه، ثم يحدث بعد ذلك ما يحدث..»

من مدونة ربيع ليبيا (29 أيلول / سبتمبر 2013)  
http://libyanspring.blogspot.com/2013/09/blog-post\_29.html

## نواكشوط: المدينة المنكوبة

«مرت على الساعات الأولى من يوم الاثنين الماضي، رفقة أصدقاء لي، في «مقهى التونسية» بعاصمتنا المنكوبة وذلك في انتظار توقف المطر لنعود إلى منازلنا. وطال الانتظار، فالمطر لم يتوقف إلا بعد أربع ساعات، ونحن فررنا المغادرة كان للشوارع رأي آخر.

كالعادة احتفظت بالماء وتحولت إلى مساحيق ومستنقعات يستحيل معها التنقل والسير بأريحية... حاولنا أن نكتفي ونبحث عن مواضع يمكننا الخروج منها، وبعد عدة محاولات تأكدنا أن الوصول إلى منزل أهلي أمر مستحيل...

في الصباح الباكر، وبعد ليلة كان يطلعا البعوض والناموس والماء استطلعت الوصول إلى المنزل والتحرر من قيد المستنقعات وجبروت المطر. فأنا أسكن في منطقة ما زالت تعشق الماء وتحتضنه في باطنها بكل ود ودفء عكس أغلب مناطق العاصمة التي تكره المطر.

قصتي هذه تحدث مع أغلب المواطنين القاطنين في مدينة نواكشوط وذلك بمجرد أن تقرر السماء أن تنزل بعض دموعها على الأرض، فالطرق غير مهلمة ولا وجود للصرف الصحي. ولا يتوقف الأمر على استحالة التنقل في الشوارع الرئيسية لمدينة نواكشوط بل أصبحت الأمطار تتسبب في تهجير المواطنين من منازلهم وذلك بعد أن تحاصرهم المياه وتحولها إلى مستنقعات، كما تهدمت الكثير من مصارف المنازل الصحية. كل هذا يحدث في ظل تجاهل من الحكومة للقصة...»

من مدونة أحمد ولد جدو (17 أيلول / سبتمبر 2013)  
http://ahmedjedou.blogspot.com/